الرياض

الاثنين 20 ذي الحجة 1425هـ - 31 يناير 2005م - العدد 13370

المملكة تنجح في تحقيق السلامة الصحية للحجاج رغم انتشار الأمراض والأوبئة في العالم

تقرير - خالد بخش:

أعلن معالي الدكتور حمد بن عبدالله المانع وزير الصحة في المملكة العربية السعودية في يوم الثاني عشر من ذي الحجة الجاري عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة خلو الحج من الأمراض الوبائية والمحجرية.

وفي تصريح خاص ل«الرياض» عزى معالي الوزير هذا النجاح أولاً إلى توفيق الله سبحانه وتعالى. وثانياً إلى التوجيهات السديدة للقيادة الحكيمة لهذه البلاد المقدسة وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام حفظهم الله جميعاً. وثالثاً إلى الجهود الكبيرة التي بذلتها وزارة الصحة ولازالت لخدمة حجاج بيت الله الحرام. وقد أتى هذا الإعلان ليسجل نجاحاً جديداً للمملكة يضم إلى سجل نجاحاتها السابقة في ادارة موسم حج نظيف من الأمراض الوبائية والمحجرية في وقت تسود فيه المخاوف الكبيرة دولاً عديدة من تفشي الأمراض المعدية فيها أو انتقالها إليه، وخاصة بعد كارثة تسونامي.

لم يأت من فراغ

ويرى المراقبون للشأن الصحي الدولي كما يذكر ذلك الدكتور عوض أبوزيد ممثل منظمة الصحة العالمية في الرياض ان نجاح الحكومة السعودية في تحقيق موسم حج خال من الأمراض الوبائية والمحجرية لم يأت من فراغ وإنما جاء نتيجة لعمل منسق ومتناغم بين المملكة العربية السعودية وكافة الجهات الصحية الدولية في مجال تبادل المعلومات والخبرات المتعلقة بالنواحي الوقائية للأمراض الوبائية وخرائط انتشارها وتغيير هذه الخرائط بمرور الوقت والتوعية بسبل الوقاية من هذه الأمراض على المستوى الدولي والاقليمي والمحلي.

وأشار الدكتور منصور بن ناصر الحواسي وكيل وزارة الصحة للشئون التنفيذية إلى ان التوجيهات المستمرة للقيادة السعودية الحكيمة لكافة الوزارات والجهات المعنية في الدولة بالمساهمة بفاعلية في تقديم مختلف الخدمات المتميزة للحجاج بما في ذلك وزارة الصحة كانت المحفز الأساسي دائماً للوزارة في تقديم خدمات ذات جودة عالية ترتقي لتطلعات ضيوف الرحمن. وأضاف بأنه وفقاً لتلك التوجيهات فإن الوزارة وضعت خطتها هذا العام 1425هـ في ادارة حج كما في الأعوام السابقة بالاعتماد على العمل والأداء الجماعي المشترك والمنسق طبقاً لمنهجية علمية وأساليب عمل ومعلومات محددة تشترط الاعداد والتحضير المبكر وتتيح الاستفادة القصوى من جميع امكانيات وموارد الوزارة البشرية والمحلية والتعامل المباشر مع المعوقات التي قد تظهر اثناء التنفيذ وطبقاً لهذه المنهجية العلمية قامت هذه الوزارة فيما يخصها بالتعامل مع الحجاج منذ وصولهم إلى منافذ دخول المملكة وحتى عودتهم إلى بلادهم وذلك من خلال الاجتماعات المتواصلة طوال العام للجان الحج التحضيرية بإشراف ومتابعة معالي الوزير، وتجنيد كافة امكاناتها البشرية والفنية لتوفير الخدمات الصحية الوقائية والعلاجية لأكثر من مليوني حاج سنوياً. وأوضح الدكتور الحواسي بأنه وفقاً لخطط العمل التي أثمرت عنها تلك الاجتماعات مما مكن الوزارة من استكمال كافة الاستعدادات الصحية الخاصة بها في الأماكن والمشاعر المقدسة ومنافذ الدخول المختلفة عقب انتهاء أعمال اللجان التحضيرية والتنفيذية، مما أدى إلى مضاعفة الجهود لضمان توفير الرعاية

الصحية الشاملة لحجاج بيت الله الحرام على أعلى مستوى رغم بعض الظروف والعوامل التي صعبت في بعض الأحيان من تأدية هذه المهمة. من تلك الظروف والعوامل صغر المساحة التي يتواجد بها أعداد كبيرة من الحجاج في وقت واحد مما يساعد على انتشار العدوى وارتفاع نسبة الحوادث والاصابات الناجمة عن ازدحام السير. ومنها كون غالبية الحجاج من كبار السن ومعاناة كثير منهم من مشكلات صحية مزمنة كالسكر والضغط والربو وأمراض القلب وغيرها.

ترجمة الخطط كمياً

أما ترجمة تلك الخطط على أرض الواقع كمياً فتمثل في اعداد المرافق الصحية التي تم تخصيصها لخدمة ضيوف الرحمن حجاج بيت الله الحرام كما قال الدكتور رضا محمد خليل رئيس لجان الحج التحضيرية بوزارة الصحة. حيث ذكر ان الوزارة قد خصصت هذا العام وكعادتها كل عام موارد تجهيزية واستيعابية كبيرة شملت (21) مستشفى بسعة اجمالية قدرها (4372) سريراً قابلة للزيادة بمقدار (948) سريراً لتصبح (5320) سريراً. وكان توزيع المستشفيات كالتالي: (7) مستشفيات لمكة المكرمة و(7) مستشفيات للمدينة المنورة و(4) مستشفيات لمشعر منى و(3) مستشفيات بمشعر عرفات. فبينما قامت مستشفيات عرفات بتقديم خدماتها يومي 9/8 ذي الحجة، قامت مستشفيات منى بتقديم خدماتها خلال أيام 8 - 13 من ذي الحجة. أما مستشفيات مكة المكرمة والمدينة المنورة فقد قدمت خدماتها للحجاج منذ بدء مجيئهم قبل الحج ثم اثنائه وبعده، ولازالت تقدمه حتى مغادرة آخر حاج منهم بنهاية محرم. وشملت خدمات هذه المستشفيات كافة الخدمة الصحية والطبية العلاجية والاسعافية. وأشارت أحدث الأرقام الاحصائية إلى كفاية هذه المستشفيات في تلبية احتياجات الحجاج هذا العام، حيث لم تسجل هذه المستشفيات نسب الاشغال القصوى حتى في أيام الحج. فقد بلغت أعلى نسبة اشغال في مستشفيات العاصمة المقدسة 66٪ يوم عيد الأضحى المبارك كما بلغت أعلى نسبة اشغال في مستشفيات منى 42٪ في نفس يوم العيد الذي يتواجد فيه في منى حوالي مليوني حاج بعد عودتهم من عرفات. كما بلغت أعلى نسبة إشغال في مستشفيات عرفات 19٪ يوم الوقفة لمليوني حاج على صعيدها. وبجانب هذه المستشفيات ذات السعة الاستيعابية الكبيرة خصصت الوزارة مراكز صحية كثيرة بلغ عددها (305) مراكز صحية لتقديم الخدمات الصحية الأولية. وكان توزيع هذه المراكز كالتالي: (86) مركزاً صحياً بالعاصمة المقدسة (82) مركزاً صحياً بالمشاعر المقدسة و(137) مركزاً صحياً بمنطقة المدينة المنورة. وكانت هذه المراكز الصحية تقوم بتقديم الرعاية الصحية الأولية والعلاج الاسعافي الأولي وتحويل الحالات إلى المستشفيات عند اللزوم. وأضاف الدكتور رضا خليل انه بجانب تلك المستشفيات والمراكز الصحية كانت هناك فرق طبية ميدانية تجوب أنحاء المشاعر المقدسة في منى وعرفات ومزدلفة لتقديم الخدمات العلاجية والاسعافية والنقلية للمرضى. وكانت تتكون من سيارات اسعاف مجهزة كل واحدة منها بطبيب ومسعف وأدوية. فكان هناك حوالي (80) سيارة اسعاف كبيرة و(75) سيارة اسعاف صغيرة. أما القوى العاملة التي حشدت لتقديم الخدمات الصحية في موسم حج هذا العام فقد بلغت (9600) فرد شملت الأطباء والممرضين والفنيين والاداريين والطلاب والكشافة المتطوعين. كل ذلك أسهم في توفير خدمات صحية رفيعة المستوى لحجاج بيت الله الحرام وساعد على أن يكونوا في أحسن وضع صحي ممكن في ظروف مثل ظروف الحج.

التركيز على الوقاية

وتعد الوقاية حجر الزاوية في مكافحة أي أمراض معدية أو محجرية. لذلك فقد ركزت وزارة الصحة السعودية كثيراً على النواحي الوقائية للحجاج وجعلتها من أولى أولياتها، وبهدف منع حدوث أي أوبئة ومكافحة الأمراض المعدية خلال موسم الحج وبالتالي الخروج بحج خال من الأمراض الوبائية بإذن الله تعالى. فطبقاً لما ذكره الدكتور يعقوب المزروع وكيل وزارة الصحة المساعد للطب الوقائي، فقد قامت الوزارة بتنفيذ برنامج وقائي عبر عدة مراحل بدأ من نهاية موسم الحج السابق حتى بداية شهر ذو القعدة وتم خلالها المراقبة الوبائية للأمراض على جميع الأصعدة الدولية.

والإقليمية والمحلية ومعرفة احتمالات الامراض التي يمكن ان تتسبب في حدوث اوبئة. كما تم تنفيذ خطة للتطعيم ضد مرضى الحمى الشوكية في وقت مبكر ومتابعة الموقف العالمي للامراض قبل القادمين، ولا زال البرنامج متواصلاً بعد ان انتهى الحج حتى مغادرة آخر حاج الى بلده سالما غانماً بإذن الله تعالى بنهاية شهر المحرم.

واضاف الدكتور المزروع بأن نجاح موسم الحج لم يتم إلا بناءً على ركائز هامة تم توفيرها في حج هذا العام بحمد الله تعالى.

فالركيزة الاولى وهي اهم هذه الركائز المعلومة التي تعتبر اهم سلاح لدى الطبيب والعاملين في القطاع الصحي عندما تتوفر المعلومة في وقت مبكر. فالوزارة تابعت باستمرار خيارات عديدة لجمع المعلومات سواء عن طريق المعلومات الموجودة على الإنتنت في مواقع المنظمات الدولية والدول المختلفة او وسائل الاتصال الأخرى. فتم الاطلاع على المعلومات المتاحة من منظمة الصحة العالمية ومركز مراقبة الامراض في الولايات المتحدة الامريكية والمراكز الاوروبية مرازك جنوب شرق آسيا والمراكز الافريقية عن الاحوال الصحية لشعوب تلك المناطق. وهذا ساعد الوزارة على وضع الاشتراطات الصحية للحج وتوصيلها مبكراً للدول المختلفة التي يأتي منها الحجاج.

الركيزة الثانية هي اليقظة والحذر الشديد لاحتمالات وفادة المرض عن طريق مختلف المنافذ في المملكة التي تعد مصدات مهمة لمنع وفادته وذلك بالاكتشاف المبكر له والتطبيق الجدي والفعال للاشتراطات الصحية التي تم وضعها قبل ذلك. لذلك تم توفير متطلبات هذه المنافذ من قوى عاملة مدربة مع استخدام الحاسب الآلي بشكل علمي لنقل المعلومة بين المنافذ والادارة المركزية للطب الوقائي منذ بداية موسم الحج، وخاصة تلك التي تخص المستجدات الوبائية لكي يتم اتخاذ اي اجراءات اضافية اذا تطلب الامر.

الركيزة الثالثة هي التعامل الدقيق بالأسلوب العلمي مع كافة الحالات المشتبهة اثناء وجود الحجاج في مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة. ولم تدخر الوزارة جهداً بدعم معالي الوزير في توفير الاحتياجات التفصيلية والمتطلبات الضرورية في اي عمل يمكن ان يتطلبه العمل الوقائي في الحج. فقد كانت هناك فرق على مدار الساعة ومواقع ثابتة ومتحركة يمكنها التعرف على اي مشكلة صحية منذ بدايتها التعامل معها بمهنية عالية وبأسلوب علمي متمكن بحيث يتم قصر الاضرار التي قد ينتج عنها بأقل عدد ممكن من الاشخاص المخالطين والتعامل مع المخالطين والبيئة بشكل سريع وعلمي متمكن.

وقال المزروع إنه تم دعم تلك الركائز بما وفرته حكومة خادم الحرمين الشريفين من بيئة صحية ونظيفة سواء في المدينتين المقدستين او المشاعر المقدسة وتوفير المياه النقية الصالحة والتخلص من الفضلات بطريقة علمية السليمة. هذه هي اهم عوامل الدعم البيئي التي ساعدت على عدم نشوء اي مشاكل صحية لها علاقة بالبيئة، وضمان حج نظيف بعون الله تعالى. كما اسهم في ذلك تعاون القطاعات المختلفة والتزام الحجاج من خارج المملكة بالاشتراطات الصحية هو امر لا يمكن اغفاله كجزء اساسي من سلامة الحج والحجيج من الامراض الوبائية وعودهم سالمين غانمين الى بلدانهم.

استقدام الخبرات النادرة

ولتأكيد الشعار الذي تبنته الوزارة وهو (صحة ضيوف الرحمن لنا عنوان) وتأكيدا على اهتمامها بكل الحجاج كبيرهم وصغيرهم وبجميع احوالهم الصحية سواء اكانت عادية ام استثنائية بغض النظر عن البلدان التي اتوا منها فقد واصلت الوزارة نهجها الذي بدأت عليه خلال السنوات القليلة الماضية في استقدام خبرات طبية متميزة من بعض الدول المتقدمة صحياً في شكل اطباء وممرضين وفنيين في بعض التخصصات النادرة اللازمة للحج. كما واصلت الاستعانة ببعض الخبرات المحلية من أساتذة الجامعات والاستشاريين لرفع مستوى الادباء بالمرافق الصحية بمكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة ورفع مستوى الخدمات الفنية المقدمة للحجاج في اقسام العناية المركزة والتخدير والطوارئ. وقد استفاد من هذه الخبرات نظراؤها من العاملين السعوديين في الوزارة واضافة الى خبراتهم الشيء الكثير.

وفي هذا الاطار استقطبت الوزارة في موسم حج هذا العام (108) متخصصاً من ذوي الخبرات في مجال العناية المركزة والطوارئ والتخدير ضمن برنامج (القوى الطبية الزائرة). كان من بين المستقطبين 14 طبيباً من الولايات المتحدة الامريكية و6 اطباء من بريطانيا و70 ممرضة من ماليزيا و18 طبيبا من داخل البلاد من القطاعات الصحية الأخرى مثل مستشفى الملك فيصل التخصصي ومستشفيات الحرس الوطني ومستشفى قوى الامن الداخلي. وشملت هذه القوى الطبية الزائرة فئات طبية نادرة ذات درجة عالية من التأهيل في تخصصاتها مثل اطباء الرعاية المركزة واطباء الطوارئ واطباء التخدير والممرضات ذوات الكفاءات الرفيعة المساندة لهم في هذه التخصصات. وقد تم استقطابهم لمساندة العاملين في مستشفيات الوزارة والاستفادة من خبراتهم في موسم الحج. وتعد هذه من التخصصات النادرة وتتسم بقلة المتميزين فيها على مستوى العالم.

وقد ادى استقدام مثل هذه الخبرات ووضعها تحت تصرف المستشفيات المختلفة الى التمكن من التعامل مع الحالات الحرجة وتوفير امكانية تقديم خدمات صحية وطبية لحجاج بيت الله الحرام تتسم بالطابع الشخصي بحيث كان يشعر كل مريض مهما كان بلده وعمره وحالته بأنه مركز الاهتمام من الجميع مع انه لم يكن الا واحدا من اثنين مليون حاج.

إشراك الدول الأخرى

ورغم سعي الوزارة من خلال الخطط والبرامج الى تسخير جميع الامكانات التي وفرتها الدولة لتجهيز مرافقها الصحية لتقديم الخدمات الطبية المتميزة خلال موسم الحج، لم تغفل وزارة الصحة اهمية مشاركة الدول التي يأتي منها الحجاج في العناية بحجيجهم اثناء الحج ولو بشكل رمزي ومحدود من خلال بعثات طبية لها للحج.
وحرصت الوزارة على الإشراف المباشر من قبل السلطات الصحية المختصة على عمل هذه البعثات خلال موسم الحج بعد حصول كل بعثة طبية على ترخيص مزاولة لنشاطها وفق الاشتراطات الصحية الموافق عليها.

وعقد اجتماع مع مندوبي تلك البعثات قبل موسم الحج لمناقشة المواضيع المتعلقة بخطة عملهم والاعداد لزياراتهم الميدانية للمرافق الصحية بالعاصمة والمشاعر المقدسة لاطلاعهم على مستوى الخدمات والتجهيزات التي وفرتها الدولة لتقديم الخدمات الطبية لضيوف الرحمن وتزويد تلك البعثات بالتعليمات والاشتراطات الصحية الواجب اتباعها والتمشي بموجبها والتنسيق معهم فيما يخص الاكتشاف المبكر للحالات المرضية داخل مخيماتهم وسرعة التبليغ عنها واحالتها الى المستشفيات وكذلك تزويد البعثات الطبية بالمطبوعات والاشرطة التوعوية الصحية التي اعدتها الوزارة بمختلف اللغات والقيام بزيارات للبعثات الطبية للوقوف على امكانياتها والخدمات العلاجية والوقائية التي تقدمها لحجاجها خاصة فيما يتعلق بالتوعية الصحية.

خطوات دقيقة للتأكد

واوضح الدكتور طارق مدني مستشار معالي وزير الصحة واستشاري الباطنية والامراض المعدية ورئيس لجنة مكافحة العدوى في حج هذا العام بأن من اسباب خلو حج هذا العام والسنوات الماضية - بعد توفيق الله سبحانه وتعالى ومنته - الجهود الدقيقة التي بذلتها جهات عديدة بالوزارة في ايام الحج على المستوى التنفيذي. ومن تلك الجهات لجنة مكافحة العدوى بالحج التي كانت تقوم على سبيل المثال بخطوات دقيقة للتأكد من صحة التشخيص وعدم وجود اي مرض فيروسي معد وخطير مثل حمى الوادي المتصدع او حمى الضنك او حمى الخمرة او غيره. وكان ذلك يتم من خلال قيام اعضاء اللجنة بجولات على مستشفيات مكة المكرمة من بداية موسم الحج حتى يوم السابع من ذي الحجة ثم انتقالهم بعد ذلك الى المشاعر المقدسة لتشخيص حالة اي مريض يدخل للتنويم في المستشفيات للتأكد من عدم وجود اي مرض معد لديه يدعو للتدخل، وعمل الاجراءات اللازمة لمنع انتشاره.

كما كانت اللجنة تقوم بالإضافة لذلك بتقديم الاستشارات في التخصص الدقيق للامراض المعدية وهو تخصص نادر لا يوجد فيه إلا القليل من المتخصصين ليس في المملكة العربية السعودية فحسب وانما في العالم كله. فكان اعضاء اللجنة يقومون بمساعدة الاطباء وابداء الاستشارات الطبية في الحالات المنومة بسبب ارتفاع درجة الحرارة والالتهابات المخية او السحانية او الرئوية او الكلوية او الدموية او الجلدية، فإذا كانت هذه الالتهابات

جرثومية كان يتم اجراء التشخيص الصحيح والعلاج المناسب لأصحابها. اضافة الى ذلك كانت اللجنة تقوم بتقييم اجراءات مكافحة العدوى في المستشفيات للتأكد من تطبيق هذه الاجراءات على الوجه الاكمل والتأكد من توافر مستلزمات الوقاية من العدوى بتوفير غرف العزل اللازمة كغرف الضغط السلبي لحالات الدرن الرئوي المفتوح ومستلزمات الوقاية مثل الكاميرات العالية الفلترة لمرض الدرن والكاميرات العادية للمرضى الآخرين كمرضى التهاب السحايا. وكان تم كذلك التأكد من وجود الواقيات مثل المرايل المغطية الجسم والقفازات ومغاسل اليدين والكحول المطهر للأيدي. وايضاً كان يتم التأكد من ان الاطباء والعاملين في التمريض وغيرهم على وعي كامل بالاجراءات الوقائية اللازم تطبيقها في حالة تنويم أي مريض مصاب بعدوى.

مواجهة التحديات المختلفة

وعزا الدكتور خالد بن محمد المرغلاني، المتحدث الرسمي لوزارة الصحة ومدير عام الإعلام والتوعية بالوزارة ورئيس اللجنة الإعلامية لحج هذا العام 1425هـ ، هذا النجاح السعودي في التعامل مع الجانب الصحي للحج الى القدرة المتواصلة للسلطات الصحية السعودية وخاصة وزارة الصحة في هذه السنة والسنوات الماضية على مواجهة العديد من التحديات بنجاح عبر خطط مدروسة وليس بأعمال ارتجالية منشئوها رد الفعل. وذكر بأن هذا النجاح للوزارة ليس سوى انعكاس لرسالة ورؤية الوزارة لدورها في الحج. فمضمون رسالتها نص على ان وزارة الصحة تعمل على دعم فرص نجاح موسم الحج من خلال تقديم خدمات صحية متميزة ذات جودة عالية ترقى الى مستوى توقعات حجاج بيت الله الحرام وتحقيق رضاهم.

أما مضمون رؤيتها فنص على ان الوزارة تتوق الى التفوق المستمر في تقديم خدمات ذات جودة عالية في مجال الصحة يحتذى بها على المستوى المحلي والاقليمي والدولي. فمن تلك التحديات التي تمكنت من مواجهتها وفقاً لتلك الرسالة والرؤية التحدي الوقائي لمليوني حاج الذين قدموا من كل انحاء العالم الذي تنتشر في اجزاء عديدة منه الامراض الوبائية. حيث يمضون عدة ايام في مكان صغير المساحة نسبياً ويتحركون في اوقات محددة ويتعرضون للتزاحم وتيارات الهواء اما في درجات عالية في الصيف او درجات حرارة منخفضة في الشتاء حسب الموسم. ومنها التحدي الاسنادي (اللوجستي) الذي يتطلب في وقت قصير جداً تأمين ما تستلزمه عدة جوانب بشرية وفنية ومرفقية بكل ما تتطلبه من اجهزة وادوات ولوازم طبية ومختبرات وأدوية وقوى بشرية طبية وتمريضية وفنية وادارية وهندسية وخدماتية.

ومنها التحدي العلاجي ويتضمن كيفية التعامل مع حالات كبيرة بين المليوني حاج الموجودين في المشاعر تعاني من الامراض المزمنة والشيخوخة والحادة وتتطلب توفير فرق علاجية كاملة قادرة على التعامل معها. ومنها التحدي التوعوي الصحي والثقافي للحجاج حيث الوزارة تتعامل مع عدد كبير من الحجاج الذين ينقصهم الوعي الصحي والثقافي الذي يمكن ان يسهم في انجاح الخطط الصحية.